الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
– البويرة –
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
تخصص: أدي عربي حديث ومعاصر

Ministère de l'enseignement supérieur
et de la recherche scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj
– Bouira -
Tasdawit Akli Mouhand Ulhag
Faculté des lettre et des langues

البنية المكانية في رواية "رحلة الواهم في المجهول" لمصطفى ولد يوسف

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص:
أدب عربي حديث ومعاصر

* إعداد الطالبتين:
– صبرينة علام
– أمال زغاد

* إشراف الأستاذة:
– غنية لوصيف

أعضاء لجنة المناقشة

1– الأستاذ: د/كمال علوات رئيسا جامعة البويرة
2– الأستاذ (ة): غنية لوصيف مشرفا جامعة البويرة
3– الأستاذ: أ/ لعريبي عواج مناقشا جامعة البويرة

السنة الجامعية: 2021 – 2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللنا بإنجاز هذا البحث نشكر الله تعالى وأحمده على فضله ونعمه ونتقدم بعظيم الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة "غنية لوصيف" على حسن تعاونها وكرمها وعطائها وملاحظات قيّمة كان لها الأثر الكبير في إتمام هذا البحث. كما نرفع عبارات الود والعرفان إلى أسرتنا الكريمة التي تحمّلت معنا معاناة البحث فكانت لنا خير سند ومعين.

وقبل أن نمضي نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والامتنان والاحترام والتقدير إلى أساتذتنا في كلية الأداب الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ومهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، فجزاهم الله عنا كل خير وثواب ...

ونسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه وأن يجعله علمًا نافعًا، ويسهّل لنا به طريقا إلى الجنة ...

إهداء:

الحمد لله الذي تقدس عن الأشياء ذاته، وتنزّهت عن مشابهة الأمثال صفاته، واحد لا شريك له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى عليه وسلّم.

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم "والدي الحبيب"، إلى رمز الحب وبسلم الشفاء "أمي الحبيبة".

إلى رياحين حياتي: أخي وأخواتي.

إلى روح قلبي، عوني وسندي ... خطيبي "عادل"

إلى أساتذتي

إلى الذين أحببتهم وأحبوني ... زملائي وزميلاتي

أهدي هذا البحث المتواضع ... راجية من المولى عزّ وجل أن يجد القبول والنجاح.

صبرينة

إهداء:

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى الإنسان الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح ... السند والقوة ... والدي الحبيب أطال الله في عمره.

إلى من أنارت دربي بنصائحها وكانت بحرًا صافيا يجري بفيض الحب إلى من زيّنت حياتي بشموع الفرح ومنحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدرب وكانت سببا في مواصلة دراستي إلى الغالية على قلبي أمي.

- إخوتي وصديقاتي ... الذين أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة.
- زوجي ... أجمل قصيدة العمر.

"إلى كل من نسيه القلم وحفظه القلب"

أمال

مقدمة

مقدمة:

إذا كان الشعر هو ديوان العرب، فالرواية هي الآن ديوان الحياة المعاصرة فهي تستطيع أن تحمل عبر صفحاتها وفصولها لكل خصائص الحياة وسماتها فالرواية الجديدة قطعة من الحياة أو الحياة نفسها فهي تخضع لقواعد الفن الروائي وتقنياته، وفي الرواية قد نقابل عشرات الأشخاص أو قد نقابل شخصا واحدًا كما نستمع لوجهة نظرهم وأنينهم وشكواهم في الحياة وتكون هذه الأخيرة سواء في المدينة أو القرية أو ... كأماكن أصبحت لها جمالياتها في الأدب والفن.

إن هذا الجنس الأدبي يتميّز بالكلية والتنوع ويبنى على مجموعة من التقنيات السردية من بينها الفضاء المكاني الذي يضفي عليها جماليته وخصوصيته فهو يعدّ أحد المكونات الأساسية في تشكيل أي عمل روائي وهو محل وقائع أحداث الرواية وحركة شخصياتها، وقد برزت أهميتها من خلال الدراسات والأبحاث النقدية التي تناولها النقاد والباحثين من نواحي مختلفة وبالرغم من هذا التناول النقدي للرواية تبقى هذه الأخيرة في حاجة إلى المزيد من الاهتمام النقدي قصد كشف أبعادها الجمالية ولا سيما درستها على مستوى المكان باعتباره الديكور والخشبة في المسرح والذي يعد المحور الأساسي في نجاح العمل الروائي إذ يحتل دور البطل الرئيسي في الرواية، وسنركز في بحثنا هذا على رواسية "رحلة الواهم في المجهول" للكاتب مصطفى ولد يوسف كنص أدبي معاصر من خلال بنيته المكانية.

وما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو ميلنا الكبير وتعطشنا لقراءة الرواية وخاصة الرواية الجزائرية منها.

- حب البحث في تقنيات السرد.
- الكشف عن جمالية الرواية من خلال البحث عن المكان.

– النجاح الواسع الذي حققته الرواية في الآونة الأخيرة باعتبارها مستقاة من بيئتها وواقعنا المعاش، وعليه يطرح موضوعنا إشكالية هامة وهي:

كيف تجلّت البنية المكانية في رواية ضباب آخر النهار؟

وتتفرع من هذه الإشكالية الجوهرية جملة من التساؤلات:

– كيف ساهم المكان في إنجاح هذا العمل الروائي؟

– كيف انت علاقته بمختلف التقنيات السردية الآخرى؟

– كيف أسهم المكان في تصعيد أحداث الرواية؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا في بحثنا هذا على خطة تضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة تحدثنا في الفصل الأول عن "المفهوم والمصطلح" والذي جاء كتقديم نظري تناولنا فيه البنية وتعريف المكان من الناحية اللغوي والاصطلاحية.

وتحدثنا في الفصل الثاني عن أنواع المكان في الرواية من أماكن مفتوحة ومغلوقة كما درسنا علاقة المكان بمختلف التقنيات السردية: "الحوار والشخصيات" إلى جانب الأبعاد التي يحملها المكان.

وفي الأخير تطرقنا لخاتمة جمعة كل ما تناثر من نتائج وخلاصات وكل هذا كان وفق المنهج البنيوي بالاعتماد على آليتي الوصف والتحليل، وقد استند بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع على رأسها مدونة بحثنا "رحلة الواهم في المجهول" لمصطفى ولد يوسف إضافة إلى:

– حسن بجداوي: بنية الشكل الروائي.

– شكري عزيز ماضي: فنون النثر العربي الحديث.

– عمر عاشور: البنية السردية عند طيب صالح، البنية الزمانية والمكانية ... وغيرها.

وفي الأخير نرجو أن تكون ثمرة جهدنا قد مسّت بعض الجوانب المهمّة للموضوع وأن نكون قد أجبنا على بعض الأسئلة المتعلقة بالبحث، آملين أننا فتحنا باب البحث أمام باحثين آخرين ليتداركوا ما به من نقص.

– وما يسعنا إلاّ أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة "غنية لوصيف" التي كانت لنا عوناً وسندًا في مسيرة بحثنا هذا.

الفصل الأول

المكان:

المفهوم والمصطلح

01: مفهوم البنية:

أ- لغة:

وردت كلمة بنى في القرآن الكريم في قوله تعالى "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءًا" [1]

دلّت كلمة "بناء" في الآية على البناء أي الهيئة التي بني عليها الشيء، وقوله تعالى: "فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الله غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا"[2]

كما دلّت الآية الثانية على المعنى نفسه أي بناء الشيء، بناه، بنيانا.

وجاء في معجم مقاييس اللغة أنّ: "بُني هو بناء الشخص بضم بعضٍ إلى بعض، تقول بنيت البناء أبنيه"[3]

نفهم من هذا القول أن كلمة "بُني" تعني البني والبناء وهي جمع أبنية أي نقيض الهدم.

ومنه نستخلص من التعريفات السابقة أنّ لفظة "البناء" دلّت على الطريقة أو العملية التي يقام عليها مبنى ما.

ب- اصطلاحًا:

وردت لفظة "بني" عند الجرجاني في علم المعاني إذ يقول: "لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يُعلق بعضها ببعض ويُبني بعضها على بعض"[4]

1- سورة البقرة، الآية 22.

2- سورة الكهف، الآية 21.

3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط 1 بيروت، لبنان، 1979 مادة (بَنى)

4- عبر القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدّة،القاهرة، ط 3، 1992، ص 55.

دلت كلمة "يُبني" في هذا التعريف على الترتيب والتنظيم في البناء أي لا بدّ للكلمة أن تكون مبنية على كلمة أخرى حتى يُفهم سياق الكلام.

كما يعرّفها ستراوس: "أنّها تحمل أولاً طابع النسق أو النظام وأنها تتألف من عناصر متحولة وأهمها هو العلاقات القائمة بين عناصر اللُّغة والأهم عنده هو أننا لا نترك البنية إدراكًا تجريبيا على مستوى العلاقات الظاهرية السطحية المباشرة القائمة بين الأشياء بل نحن ننشئها بفعل النماذج التي تعمد طريقها على تبسيط الواقع وأحداث تغيرات التي تسمح لنا بإدراك البنية"[1]

أي البنية هي النظرة الكلية أو النظم الشامل التي ترفض تجزئة العمل الفني شكلا ومضمونا فهي تشكل العلاقات الجوهرية القائمة بين عناصر اللغة.

يقول سعيد علوس: "البنية نظام تحويلي يشتمل على قوانين ويُبني عبر جملة تحولاته بحيث لا تتجاوز هذه التحويلات حدود أو تلجأ إلى عناصر خارجية وتتألف البنية على العموم من اجتماع ثلاث ميزات هي الكلية، التحول، التعديل الذاتي"[2]

البنية إذًا تحكمها جملة من الميزات (الكلية، التحول، التعديل الذاتي) والقوانين التي تتفاعل فيما بينها بمقتضى أنّ كل عنصر يكمل الآخر.

02: مفهوم المكان:

أ- لغة:

تحمل لفظة المكان العديد من المعاني والمفاهيم كما يحوي على معاني كثيرة انطوت على جملة من المفاهيم اللغوية.

1-محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي عن ضوء المناهج النقدية الحديثة لدراسته في نقد النقد، من منشورات اتحاد كتابالعرب، دمشق 2003، ص 36.

2- سعيد علوس، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت (لبنان) 1985، ص 52.

جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ: "المكان أو المكانة واحد التهذيب أصل تقدير الفعل مفعل، لأنه موضوع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجدوه بالتصريف مجدى فعّال فقالوا: مكنانه وق تمكّن ... والمكان الموضع والجمع أمكنة كقذال أقذلة وأماكن جمع الجمع ... والعرب تقول: كن مكانك وقم مكانك وأقعد مكانك فقد دلّ هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه"[1]

ونفهم من هذا أن المفهوم اللغوي للمكان هو موضع الشيء ومكانته، أما المكان في العمل الروائي هو: "الأرضية التي تتحرك عليها الأحداق والصراع بين الشخصيات في إطار متن مكاني المتناسك لا يحدث في الفراغ بل في أمكنة متعددة ومحدودة"[2]

أي أن المكان هو الركيزة الأساسية التي يبنى عليها العمل السردي وبه تتحرك الشخصيات وتسير الأحداث.

كما أورد الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين، المكان في مادة (كون) وفيه يقول: "المكان اشتقاقه من كان، يكون فلما كثرت صارت الميم كأنها أصلية فجمع على أمكنة ويقال أيضا: يمكّن كما يقال من المسكين: تمسكن وفلان مبنى مكان هذا، هو مبنى موضع العمامة وغير هذا ثم يخرجه العرب على المفعول ولا يخرجونه على غير ذلك من المصادر"[3]

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (م.ك.ن)، ط 1، مجلد 14، 2004، ص 112 – 113.

2- زكي العلية، المرأة في الرواية الفلسطينية، رام الله، دار أوغاريت للنشر، فلسطين، 2003، ص 223.

3- خليل بن أحمد الفراهيدي، العين (مج) 14، ط 1، دار النشر، الكتب العلمية، لبنان، 2013، ص 59.

وأضاف محمد مرتضى الزبيدي أن المكان هو: "الحاوي للشيء وعند بعض المكلمين أنه عرض وأنه اجتماع جسمين حاوي ومحوي وذلك كون الجسم الحاوي محيطًا بالمحوي فالمكان عندهم المناسبة بين هذين الجسمين"[1]

نستنتج من هذه التعريفات اللغوية السابقة أن لفظة المكان من الناحية اللغوي تعني الموضع الثابت المحسوس القابل للإدراك ومن معانيها أيضا المنزلة والمكانة.

ب- اصطلاحاً:

لقد حظيت كلمة المكان بأهمية بالغة في ميدان اللغة العربية واتسعت معانيها ودلالاتها نتيجة لاستعمالاتها المتعددة وقد أعطى الفلاسفة أهمية كبيرة للمكان ووظفوه كل حسب نظريته الفلسفية.

يعرّفه أرسطو أنه: "المكان موجود مادمنا نشغله ونتحيّز به وكذلك يمكننا إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقل من مكان إلى آخر والمكان لا يفسد بفساد الأجسام"[2]

أي أن المكان هو بؤرة العمل السردي التي تجري فيه مختلف وقائع الأحداث فلا يمكن تجاهله والاستغناء عنه.

أما أفلاطون عرّفه: "الخلاء المطلق"[3]

1- محمد مرتضى بن محمد الحسين الزبيدي، تاج العروس، دار الكتب العلمية، لبنان، مج 18، ط 1، 2008، ص (79 – 81).

2- حسان مجيد لعبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ص 27.

3- عبد الرحمن البدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 129.

يقصد به أفلاطون ذلك الفضاء الواسع الخالي الذي لا أحد به ولا شيء فيه، ويرى الروائيين أم: "المكان إنّما هو فراغ متوهم تشغله الأجسام وتنفذ فيها أبعادها فإن المكان عنده ليس له وجود في ذاته ... والمكان لا حقيقة له"[1]

يقصد الروائيين أنّ المكان هو فضاء خيالي لا حقيقة له في الواقع الذي تحتله الأجسام.

ويعرفه حسن بجاوي: "أنّه عنصرًا متحكمًا في الوظيفة الحكائية والرمزية للشرد وذلك بفضل البنية الخاصة والعلائق المترتبة عنها إذا فالمكان ليس عنصرًا زائدا في الرواية فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة بل إنّه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كلّه"[2]

أي أنّ المكان من عناصر البناء الفني السردي لا يمكن عزله عن باقي العناصر الحكائية (القصبة، الرواية، الحكاية ...) فلا الأحداث أو الشخصيات يمكن أن تلعب أدوارها دون مكان نتيجة التأثير الذي يحدثه في باقي عناصر السّرد (زمان + شخصيات ...)

يعرف حميد الحميداني المكان من خلال كتابه لبنية النص السردي: "المكان هو مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى الكلام والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء ... إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا محددًا ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها فإنّها جميعا تشكل فضاء الرواية"[3]

1- حمادة تركي زعتر، جماليات المكان في الشعور العباسي، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2003، ص 30.

2- حسن بجاوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط 1، 1990، ص 53.

3- حميد الحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 63.

03: أهمية المكان:

إن المكان يحوي على أهمية كبيرة في الرواية فعلية يستند البناء الروائي وعليه تقوم الشخصيات، فهو الإيطار الذي يحمل مختلف الأحداث والوقائع وهو "صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس، على عكس الزّمان الذي يدركه الإنسان إدراكًا غير مباشر من خلال فعله فيه"[1]

ويقصد بهذا أن المكان ثابت على عكس الزمان المتحرك، فهو يدرك بالحواس إدراكًا مباشرًا.

يعتبر المكان عنصرًا فاعلا في الرواةي، ولهذا يقول حسن بحراوي عن أهميته في قوله: "يتشكل كعنصر من بين العناصر المكوّنة للحدث الروائي، وسواء جاء في صورة مشهد وصفي أو مجرّد إطار الأحداث فإن مهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث"[2]

ويفهم من خلال هذا القول أن المكان يعد عنصرًا أساسيا وهاما في أحداث الرواية من خلال عملية تحريكها وتنظيمها (الأحداث).

كما يقول أيضا: "إنّ الرواية هو خديم الدراما، فالإضارة إلى المكان تدلّ على أنّه جرى أو سيجرى به شيء ما، فبمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي يجعلونا ننتظر قيام حدث ما، وذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث"[3]

يكسب المكان أهمية كبيرة في الرواية، فهو لا يعتبر فقط أحد العناصر الأساسية التي تحرك الأحداث والشخصيات فحسب، وإنما هو المسيّر الذي يبيّن وجهة نظر الكاتب، وله علاقة بالدراما والأحداث، ولا يمكن تصوّر وجوده بدون وقوع الأحداث داخله.

1- أسيا البوعلي: أهمية المكان في النّص الروائي، مجلة نزوى تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، 14 جويلية 2009.

2- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، ص 30.

3- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق، ص 30.

يعد المكان وحدة أساسية من وحدات العمل الروائي، إلى جانب الشخصية والزمن والسرد، لذا يقول ياسين النصير أهميته في قوله: "بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر ..... أي جزء من أخلاقية وأذكار ووعي ساكنيه"[1]

إنّ المكان يرتبط ارتباطًا وثيقا بالمجتمع، فهو جزء مهم التي تتحرك فيه الشخصيات في محيطها.

يمثل عنصر المكان في الرواية: "مكونا محوريا في بنية السّرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية دون مكان، ولاد وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدّد وزمن معيّن"[2]

تتجلى أهمية المكان من خلال هذا القول في تحريك الأحداث وتفاعل الشخصيات فيما بينها في بنية السرد الروائي.

إنّ المكان الروائي بناء لغوي، يشيد خيال الروائي والطابع اللفظي فيه يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها، ذلك أن "المكان في الرواية ليس هو المكان الطبيعي أو الموضوعي وإنما هو مكان يخلفه المؤلف في النّص الروائي عن طريق الكلمات، ويجعل منه شيئا خياليا"[3]

1- ياسين النّصير، الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، مجلد 1، 2010، ص 13.

2- جوادي هنية، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، صالح مفقودة، 2013.

3- بدرى عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، ط 1، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986 م، ص 94.

أي أن المكان نتاج مجموعة من الأساليب اللغوية المختلفة والمختلفة في النص، فالروائي له عدّة طرق في تشييد هذا المكان الروائي منها: الوصف، توظيف الرموز، استخدام الصور الفنيّة... ولكل منهما دور فعّال في النّص الروائي مثلا فالروائي حينما يلجأ إلى الوصف يبذل قصارى جهده على قدرته أن يجعلنا نرى الأشياء أكثر وضوحًا.

حظي المكان في الرواية اهتمام كبيرة من الدارسين لأن المكان في النّص الروائي يتجاوز كونه مجرّد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية فهو عنصر غالب في الرواية حامل لدلالة، ويمثل محورًا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرّواية، لذا يرى البعض "أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"[1]

أي أن المكان يشكل محورًا أساسيًا في الرواية وهو العنصر الفعّال التي ترتكز عليه، إذ يحمل عدّة دلالات مختلفة، ولا نستطيع أن نطلق لفظة عمل أدبي إلا إذا ارتبط بالمكان.

ونظرًا لأهمية المكان الكبيرة في العمل الروائي يقول بحراوي في قول آخر هذا الشأل أنه "أحد الركائز الأساسية التي يرتكز عليها العمل الأدبي ولاسيما الرواية فهي تحتاج إلى مكان تدور الأحداث وتحرّك من خلاله الشخصيات ولا يهم إذا كان المكان حقيقيا أو خياليا من نسج خيال الكاتب ..." [2]

وبالتالي فهو يمثل عنصرا فعالا ترتكز عليه الأعمال السردية في بناءها وسيرها بالاستناد إلى الشخصيات والأحداث التي تساهم معه في تكوين عمل متين وبدونه لا تحرّك الشخصية.

1- غاستون باتسلار. جماليات المكان، ترجمة غالب هلسار، ط 3 ، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987م، ص 5 – 6.

2- أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات حيرا إبراهيم، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2001، ص 15.

يضيف عمر عاشور في قوله أن "تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقاري شيئا محتمل الوقوع بمعنى يوهم بواقعيتها، أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور أو الخشبة في المسرح وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلاّ ضمن إطار معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني"[1]

حيث نرى أن توظيف المكان في الرواية أصبح من أساسيات العمل السردي حتى يتشكل لنا في الأخير وحدة فنية جمالية.

كما نرى حميد الحميداني قد تحدث في كتابه بنية النص السردي عن أهمية المكان يقول: "أهمية المكان تظهر خاصة في تشكيل العمل الروائي ورسم أبعاده ذلك أن المكان مرآة تنعكس عن سطحها صورة الشخصيات وتنكشف من خلالها بعدها النفسي والاجتماعي إذ يسهم في وسعها بمظاهرها الجدسية ولباسها وسلوكها وعلاقتها بسواها فما أكثر الأحيان التي يتمكن الإطار البيئي المكاني من تحديد المنتسبين إليه ومن كانت العناية به واضحة"[2]

من خلال هذا نرى أن المكان له أهمية كبيرة كما في العناصر السردية الأخرى (زمان، أحداث، شخصيات) فلا يمكن تصور عمل سردي دونه بما أنه يعطي لأحداث الرواية واقعيتها إذ هو الإطار الذي تنطلق ضمنه مجرى الأحداث يقول عبد المنعم "إن المكان يأخذ على عاتقه السباحة بالقارئ في عالم الفضاء السردي ويأتي اهتمام كثير من الروائيين بالمكان انطلاقا من الاستجابة النفسية له والتواجد في محيطه فالمكان الذي يثير مقدارا من المشاعر تعاطفا أو تنافرا

1- عمر عاشور: البنية اسردية عند الطيب صالح، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص30.

2- حميد الحمداني، بنية النص السردي، ص 2.

فكما يستحوذ على اهتمام الفنان وإضفاء البعد النفسي أو الشعوري على المكان يبدأ من لحظة اختياره لاستخدامه في العمل الفني الروائي. [1]

ولبيان أهميته في الرواية قال النابلسي "عامل فعالا وبناء في الرواية وإلا أصبح كتلة شحمية لا تضيف للرواية إلا الترهل ومن هنا كان المكان يلعب في بعض الروايات الرشيقة دور البطولة وليس عنصر بطالة"[2]

حيث يمكن القول أنه يشكل المسار الذي يسلكه تجاه السرد إذ له دورًا هامًا في تأطير المادة الحكائية.

نستنتج في الأخير أن المكان لا يقل أهمية وشأنا عن العناصر السردية الأخرى ويعدّ أحد العناصر الفنية الأساسية ولأنه يتحول في بعض الأعمال إلى فضاء يشمل كل العناصر الروائية فهو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية والممثل لوجهة نظر المؤلف وهو الذي يربطه أجزاء العمل ببعضها البعض.

4- الرواية بين الفضاء والمكان:

يجمع النقاد أن الفضاء أوسع من المكان وذلك أن "الفضاء يتشكل من الأماكن المتفرقة المترددة خلال مسار الحكي، والفضاء هو كل هذه الأشياء إنه يلف مجموع الحكي ويحيط به"[3]

ويفهم من هذا أن الفضاء والمكان في الرواية مترابطان ومنسجمان ببعضهما البعض، فالمكان هو جزء من الفضاء وأحد عناصره الأساسية وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنها فكلاهما يكملان بعضهما.

1- عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2009، ص 139.

2- النابلسي شاكر: جماليات المكان في الرواية العربية، ص 275.

3- محمد عزّام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص 66.

وفي السياق نفسه يقول حميد الحميداني "إن الفضاء في الرواية هو أوسع وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الرواية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة وبطريقة ضمنية مع كل حكاية"[1]

ونفهم من سياق هذا القول أن الفضاء أشمل وأعم من المكان وبالتالي هو القاعدة الأساسية التي ينبني عليها العمل السردي ويحرك مساره فهو جزء من الفضاء الروائي، فإذا كان المكان هو السطح فالفضاء إذن هو العمق.

أما تصنيف سمر روحي الفيصل في قولها "يحرص البنيويون على التمييز بين المكان الروائي، والفضاء الروائي، ذلك أن الرواية تحتاج إلى أمكنة عدّة تواكب تطور الحوادث وحركة الشخصيات، ويمكن القول أن مجموع الأمكنة الروائية تشكل الفضاء الروائي بحيث يعد المكان مكونا من مكونات الفضاء"[2]

أي أن الفضاء الروائي والمكان الروائي مفهومان مختلفان، فالمكان هو الإيطار الذي تقع فيه أحداث الرواية والمحرك الأساسي لشخصياتها التي من خلاله يتشكل الفضاء.

أما جورج بولي فقد جعل الفضاء سابقا للمكان في سياق بحثه للفارق المفهومي بينهما "ال "يوجد أولا الفضاء ثم الأمكنة التي تجد مكانها في الفضاء"[3]

يقصد بهذا المفهوم أن الفضاء أسبق من المكان فإذا كان هذا الأخير (المكان) جزء من مجال الفضاء الروائي فإن الفضاء فهو كله.

1- حميد الحميداني، بنية النّص السردي، ص 64.

2- سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، مقاربات نقدية، اتحاد كتاب العرب، ط 1، دمشق، سوريا، 2003، ص 253.

3 – George Polet : L »espace, paraustien, Ed : Gallimard, paris 1963, P 58.

يضيف حميد الحميداني في هذا السياق حيث يقول أن المكان هو الفضاء أي معادلا له: "ويفهم الفضاء في هذا التصور على أنه حيز المكان في الرواية ولا يقصد به بالطبع المكان الذي نشغله الأحرف الطباعية التي كتبتها الرواية ولكن ذلك المكان الذي تصوره قصتها المتخيلة"[1]

وبالتالي يفهم من هذا أن الفضاء مرادفًا للمكان حسب حميد الحميداني أي معادلا له ومصورا للحكاية والقصة و ....

نرى أن النقاد والكتاب معظمهم اتفقوا أن الفضاء أوسع وأشمل بكثير من كون هذا الأخير أي المكان ما هو إلا حزء من الفضاء إذ هما متصلان ببعضهما البعض يقول فيصل أحمد "أن المكان هو سبب في وضع الفضاء، أي أن الفضاء بحاجة إلى المكان، فتغييرات الفضاء تتمايز عن تمظرات الأمكنة لمساحات ومسافات تبوبها الأحداث والأفعال الروائية في حين تلتقط تجليات الفضاء من خلال علائقها بباقي المكونات البنيوية للنص الروائي"[2]

إذ أنّ المكان جزء من الفضاء لا يمكن الفصل بينهما لأنهما مترابطان ببعضهما البعض وتحكمهما علاقة الكل بالجزء أي المكان جزء من الفضاء.

كما يؤكد الكاتب حسن نجيمي ويدعم هذا بحيث يقول: "أن الفضاء موجود على امتداد الخط السردي إنه لا يغيب مطلقا حتى ولو كانت الرواية بلا أمكنة، الفضاء حاضر في اللغة، في التركيب في حركية الشخصيات وفي الاتساع الجمالي لبنية النص الروائي"[3]

إذ أن الفضاء لا بد من تواجده في الأعمال السردية ولا يمكن غيابه بما أنه حاضر ي جعل العناصر السردية كما أنه الخط الذي تسير عليه الرواية.

1- حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص 54.

2- فيصل أحمد، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط 1، 2010، ص 127.

3- حسن نجمي، ص 65.

كما نجد حسن بحراوي الذي ربط الفضاء بالمكان وجعلها عنصرا واحدا يقول في هذا الصدد: "إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى لا يوجد إلاّ من خلال اللغة فهو فضاء لفظي بامتياز ... إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمله طابعا مطابقا ... لمبدأ المكان نفسه"[1]

يفهم من هذا أن الفضاء ناتج من اللغة وجعله مطابقا للمكان والمؤلف هو الذي يخلقه من خلال كتابته وتأليفه.

يمكن أن نستنتج في الأخير من خلال الآراء السابقة أن هناك عدة اختلافات بين الفضاء والمكان منها أن الفضاء هو الفراغ وهو كل ما يحيط بنا دون أنةنلمس له حدود بخلاف المكان الذي يعد الأضيق منه كما أنه أوسع بامتداده أي هو العالم الواسع يشمل كل عناصر الرواية (شخصيات، زمان، مكان، أحداث).

كما أن المكان هو جزء من الفضاء ولا يمكن فصله عنه، ففيه تتحقق دلالته الأساسية لتشكل لنا بنية متماسكة في العمل الروائي وبالتالي لها صلة وثيقة بالرغم من اختلافهما في المفهوم.

1- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 27.

الفصل الثاني:

علاقة المكان بمكونات السرد

01- أنوع المكان:

تعددت الأمكنة وتنوعت في رواية "رحلة الواهم في المجهول" نجد المفتوحة منها والمغلقة فهي: "تزويد الرواية بطاقة فنية خيالية توتر الفعل الروائي، ثم إنها رموز تكشف توجهات الرواية العامة، والأهم من ذلك تسعى إلى تكوين خصائص تمنح الخطاب خصوصيته المكانية"[1] فارواية حاشدة بشبكة أماكن مختلفة ومتنوعة وذلك من خلال تحرك الشخصيات فيها.

1-1: الأماكن المغلقة:

وهي تلك الأماكن التي تكون مساحتها محدودة مثل البيت، المطبخ، الغرفة ... وغيرها من الأمكنة فهي: "مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين"[2] فقد يؤدي هذا النوع من الأماكن دورًا مهما في رواية "رحلة الواهم في المجهول" وبهذا تقول حفيظة أحمد في كتابها "بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية": "تؤدي الأمكنة المغلقة دورًا محوريا في الرواية فهي تتفاعل مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها"[3] وهذا ما وجدناه في الرواية.

*** المستشفى:**

يعد المستشفى من الأماكن المغلقة التي ركز عليها الروائي ومنحها الريادة والأولوية في الرواية، فهو مكان يذهب إليه عامة الناس قصد العلاج، يأتون إليه من أمكنة مختلفة، فهو مكان مجهز بالأطباء والممرضين والأدوية ومختلف الوسائل والأجهزة الطبية وقد وظّفه الكاتب في شخصية "صوفيان" الطبيب حيث يقول: "فهو رئيس مصلحة التوليد في مستشفى ابن سينا لطوال

1- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث، ط 1، إربد، الأردن، 2010، ص 203.

2- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثرثية حناميا، ص 44.

3- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، مركز أوغاريت الثقافي، فلسطين، ط 1، 2006، ص 134.

اليوم وهو يتفقد مصلحته المكتظة بالحوامل ويحرص على احترام أبجدية النظافة والاستقبال الإنساني لهاته النسوة ... وه كطبيب مختص في أمراض النساء يعرف كل صغيرة وكبيرة عن معاناتهن"[1]

لقد صور لنا الروائي هذه الضخصية "صوفيان" ليبرز لنا مدى حبّه وصبره وإصراره وتفانيه في عمله.

وقد جاء في مقطع آخر: "في مصلحة طب النساء والتوليد كانت "أسماء" الشبح الذي يلازم "صوفيان" فقد اشتغلت منذ مدة قبل أن تسافر إلى فرنسا ... وكانت معه "صبرينة" ممرضة متمكنة ذات هيبة ووقار ... ترى في "صوفيان" الزوج المثالي ففي كل لقاء معه ترتعش ... أحبته منذ أن رأته أول مرة"[2]

لقد جعل الروائي المستشفى ذات دلالة عاطفية والتي تجلّت في علاقة حب وغرام بين الطبيب "صوفيان" والطبيبة "أسماء" التي انتهت علاقتها بالفراق.

يضيف الكاتب قولاً آخر "... في مكتبه كان "صوفيان" منشغلا في تحديد تقرير هام عن نقص المخزون الضروري لقارورات الأكسجين، محذرًا من مغبة استنزافه، وما ينجر عن ذلك من وفيات للرضع وحديثي الولادة"[3]

لقد جعل الكاتب المستشفى مصدرا لنهب وسرقة مختلف المعدات الطبيّة من قبل الممرضين والأطباء.

1- الرواية ص 3.
2- الرواية ص 16.
3- الرواية ص 54.

ومن جهة أخرى نلمس قولا آخر: "لا أحد أخير صوفيان بما يجري خلف ظهره فهو معجب بالطبيبة، الموظفة مؤخرا حيث رأى فيها الزوجة الصالحة وعبرها سيطفأ حديق الفراق مع أسماء ... فكان له ذلك أمام باب مكتبه"[1]

إن المكان هنا تمثل في نظرة إعجاب "صوفيان" بالطبيبة نادية.

نستنتج مما سبق أن للمستشفى أهمية بالغة في هذه الرواية لأن الروائي وظّفه بأشكال مختلفة، وصوّره في دلالات متنوعة فأحيانا يؤدي وظيفته الحقيقية في معالجة المرضى والتخفيف من آلامهم وأحيانا يؤدي عكس ذلك وهذا ما لمسناه في الرواية.

*** الحانة:**

تعد الحانة من أكثر الأماكن التي يذهب إليها الإنسان لحظة غضبه وحزنه حتى يرفه على نفسه "فهو مكان يلجأ إليه الإنسان هروبا من واقعه الطاحن وحاضره المقموع لعبر عن الكبت الاجتماعي والجنس"[2]

يقول الكاتب: "كان بالأمس القريب كثير التردد إلى الحانات"[3]

هنا وظّف الكاتب الحانة للدلالة على الراحة النفسية ونسيان الشخص حوادثه المؤلمة.

وقد جاء في قول الراوي: "فشرب كما لم يشرب حياته، حيث جفّ حلقه وتعسر عليه مواصلة الحديث، نهض والصراع الجاثم يثقب رأسه"[4]

وهنا الحانة جاءت تدل على أنها مكانا للشرب واللهو ونسيان الهموم، ومنه نستنتج أنها "الحانة" من الأماكن المغلقة التي حققت جمالية فنية بارزة في الرواية.

1- الرواية ص 25.

2- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشرة، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، ص 222.

3- الرواية ص 30.

4- الرواية ص 33.

*** البيت:**

يعتبر البيت المنبت الطبيعي للإنسان الذي ينشأ ويترعرع فيه وسط أحضانه وفيه يشعر براحته وممارسته مختلف أعماله اليومية إذ "أن الإنسان يمارس حريته كيفا يشاء وأنى يشاء حيث يتصرف على سجيته دون تكلف أو خوف أو حبح"[1]

فالبيت هو ملاذ الأمن من الخوف فهو مكان الحرية والطمأنينة وقد جاء في رواية "رحلة الواهم في المجهول" الملجأ الذي يحوي إليه "صوفيان" استنادًا لقول الكاتب: "في ذلك اليوم المشؤوم دخل صوفيان إلى بيته في حدود الرابعة صباحا بعد إسعاف الجرحى ... فألقى بجسده المرهق على السرير ... أطفأ الضوء لينام، وكان الجو باردًا"[2]

ويفهم من هذا أنّ البيت مصدر لراحة الإنسان.

وقد تجلّى في قوله أيضا: "ترك السرير متوجها إلى غرفة الاستقبال ... أشعل التلفاز فكانت الأخبار في قناة فرنسية والساعة تقارب السادسة صباحًا ... "[3]

ومنه فإن البيت هو المنشأ الأول الذي يجد فيه الإنسان راحته.

ومن هنا يبرز "غاستون باشلار" أهميته في قوله: "ركنا في العالم إنه كما قيل مرارا كوننا الأول"[4]

إذن فالبيت هو المأوى الذي يأوي الإنسان منذ ولادته فهو منبع الدفئ والحنان.

1- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، مركز أوغاريت الثقافي، فلسطين، ط 1، 2006، ص 134.

2- الرواية ص 35 – 36.

3- الرواية ص 36.

4- غاستون باشلار، جماليات المكان، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تر: غالي ...، ط2، بيروت، ص 31.

*** المقهى:**

إن المقهى مكان مفتوح يلجأ إليها الناس بمختلف طبقاتهم الاجتماعية ومختلف أجناسم للترفيه على النفس وتمضية الوقت وملاقاة الرفقاء والأحباب، كما يعد مكانا للتسلية ومضي الأوقات إذ أنّ "المقهى هو مسرح الحياة الشعبية وهو مكان للعب واللهو والتأمل والترويح والتفريغ عن النفس"[1]

أ هو مكان لنسيان الهموم.

يقول ولد يوسف في هذا الشأن: "... في كل نهاية أسبوع يلتقي الحاج منصور بفرحات النّادل فهو عينه وأذنه في المقهى ... يتحدى كل كبيرة وصغيرة فيها دون أن ينتبه إليه أحد"[2]

حيث كان المقهى في رواية "رحلة الواهم في المجهول" المكان الوحيد للتجسس ونقل الأخبار.

وفي حديث آخر يقول ولد يوسف" كان الوقت مساء و "سعد" الصحفي جالس خلف طاولة منزية في مقهى غير مكتظة بالزبائن"[3]

يضيف قائلا: "أدار وجهه للجالسين اذي مازالوا يترددون على المقهى فكان الحائط الأملس في مقابلة أنفه الطويل، وبعض يقه في القهوة التي زينته ... من عاداته الجلوس في هذه المقهى غير البعدية عن مقر عمله، حيث يجد راحته وهو يرتشف قهوته المترسبة في قاع الفنجان"[4]

بحيث أن المقهى هو المكان الأنسب الذي كان يلجأ إليه سعد الصحفي لشعوره بالراحة فيها.

كما أشار الروائي في مقطع آخر: "نهض متوجها إلى المقهى والقلق استشرى في جسده النحيف ... يتعرق شتاءً وصيفا على حد السّواء ... طلب قهوته والسجارة لا تفارق شفتيه..."[1]

1- شاكر النابلسي، جماليات في الرواية العربية، ص 222.

2- الرواية ص 50.

3- الرواية ص 58.

4- الصفحة نفسها.

ومن هنا نستنتج أنّ المقهى من الأماكن العمومية التي يذهب إليها عامّة الناس قصد الترفيه والتسلية فهي أفضل مكان لتبادل الكلام والحوار بين الناس.

*** العمارة:**

عرّفها شاكر النابلسي على أنها "مجمع سكني"[2] أي تحوي على عدة طوابق وهي من الأماكن التي وظّفها ولد يوسف بغية التنويع في الأماكن حتى تضفي على الرواية جمالية فنيّة.

يقول ولد يوسف في هذا الصدد: "انزلقت قدم "صوفيان" فوق برج العمارة فكاد يسقط بسبب سلالم العمارة التي تآكلت بفعل الإهمال في الحي الذي سكن فيه في رحلة البحث عن الأيدي التي تنتشله من الأوساخ المرمية هنا وهناك فانعدام الإنارة في العمارات وخارجها ..." [3]

وظف الكاتب المكان هنا على أنه مكان للمعاناة طوال الوقت نتيجة الأوساخ المتراكمة والروائح الكريهة المتواجدة والإهمال الذي يصاحبها.

1- الرواية ص 61.

2- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 127.

3- الرواية ص 38.

1-2: الأماكن المفتوحة:

*** القرية:**

تعد القرية من الأماكن المفتوحة فنجد أن معظم الروائيين العرب نشأوو فيها مما أثرت عليهم وعالجوا مختلف قضاياهم الاجتماعية في الريف وهذا ما تجسّد في هاته الرواية ويظهر جليا في قول ولد يوسف: "في إصغائه إلى هؤلاء كبر أكثر في أعين القرويين فأضحى راشدا قبل الأوان فكفّ عن التسطع في ربوع القرية كما يفعل أقرانه مكتفيا كتابة الرسائل صباحا والمطالعة مساءً متخذا شجرة الزيتون أريكة له التي غرسها جده في باحة المنزل ... فالفقر منبع الحاجة وفي الوقت نفسه يغذي الهمة لمن أراد أن يخلع رداء الحرمان ..." [1]

ويفهم من هذا أن القرية مكان للحياة القاسية التي كان يعاني منها سكانها نتيجة الفقر، وقلّة فرص العمل، كما أنها تتميّز بالبساطة في العيش فيها.

كما نلمس القرية في موضع آخر في الرواية: "وهو في العاشرة من العمر كان بائعا للتين الشوكي صيفا والخامسة عشر يكتسب رزقه في العطل ككاتب عمومي، فالقرية ملأى بالأميين"[2]

وبالتالي وصفها الروائي على أنها مكان يرمز للجهل والأمية نتيجة نقص التعليم و ...

*** الجامعة:**

تعد الجامعة ملتقى لمختلف الأجناس والأعراق، وهي مصدر للوعي الثقافي فهي تسهم في تعليم وتثقيف الطلبة فهي تفتح عقولهم وأفكارهم ومن خلالها يتم التبادل والتواصل مع مختلف الأشخاص وقد ذكرت في بداية الرواية أهم ما جاء فيها: "دخلت الجامعة بعد رحلة نجاح في

1- الرواية ص 12.

2- الرواية ص 11.

مراحل تعليمية سابقة ... فنالت شهادة البكالوريا بتقدير جيّد جدا مكنّها من الالتحاق بكلية الطب"[1]

ومن هذا نفهم أن الجامعة مكان تحقيق وتلبية كل طموحات الطلبة في جميع مجالات الحياة.

كما ذكرها ولد يوسف مرة أخرى في قوله: "كان أول لقاء بالمدرج "ك" حيث جلس "صوفيان" الباتني في الصف الأول، وهو في قمة السعادة، إذ حقق حلمه، فهو الوحيد من قرية "الشوكة" الذي التحق بكلية الطب ..." [2]

يضيف قائلا: "دخل الأستاذ ... فصمت الجميع وكان المدرج مكتظا عن آخره ... وضع محفظته الضخمة قائلا: الطب مهنة لم تعد محتكرة كالسبق للطبقة البورجوازية، فالتعليم المجاني فتح المجال حتى لأبناء الفلاحين بأن يصبحوا أطباء"[3]

من خلال هذا القول تبيّن لنا أن التعليم أصبح مجانا متاحا للجميع سواء الطبقة البورجوازية أو الطبقة البسيطة.

*** المدينة:**

تعتبر المدنية من أهم الأماكن التي يعيش فيها الناس وهي مكان حضاري يتميز بكبر حجمها، وتحتوي على الكثير من المباني، عكس القرية يقال "تمدن الرجل"[4] أي تخلّق بأخلاق أهل المدن وانتقل من حالة الخشونة والبربرة والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة.

لقد ساهمت "المدينة" في رواية "رحلة الواهم في المجهول" في تحريك الشخصيات، وتقع أغلب أحداث الرواية في المدينة وبالتحديد الجزائر العاصمة حيث حكة بطل الرواية ما تحتويه

1- الرواية ص 6.

2- الرواية ص 11.

3- الرواية ص 13.

4- بطرس البستاني، ص 843.

هذه من ضجيج وضوضاء وهنا ما عبّر عنه ولد يوسف في قوله: "في حدود الساعة السادسة مساء خرج من المستشفى قاصدًا بيته ي حي الرشيد الجديد حيث استقر به المقام بعد رحلة طويلة في الجنوب الجزائري ... ها هو ابن مدينة الجزائر العاصمة ..... بالضجيج وضوضائها"[1]

في هذه الرواية نجد وصف المدينة فهي تنعم بالضجيج والضوضاء نتيجة الحركة والتراكم السكاني على عكس الصحراء التي تميّزت بالصمت والهدوء.

كما وظّف الروائي صورة أخرى للمدينة في قوله: "الظلام لون المدينة بعدما اجتاح الرعب أزقتها وشوارعها... الكل في مركب خاص بالأنفس التائهة ... قد يفرق في أي لحظة وسط الضربات المتلاحقة عليه ... لامتصاصه"[2]

نجد المدينة في هذا المقطع تحمل دلالات الرّعب والخوف وذلك نتيجة الظلام الذي خيّم على أزقتها وشوارعها الكبيرة، وهذا من أجل أن يقرب الصورة أكثر للقارئ.

1- الرواية ص 03.

2- الرواية ص 39.

02: علاقة المكان بالشخصية:

لا يكتمل الحديث في موضوع المكان الروائي إلاّ إذا اقترن بالحديث عن الشخصية "فهي تسهم في الكشف عن القوى التي تحرّك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلها"[1] فالشخصيات إذن من المقومات الأساسية للرواية ودون الشخصية لا وجود للرواية.

إن الشخصية كمكون سردي تضفي على المكان طابعها الخاص بوصفها ضيفًا فعالا لما تقوم به في مختلف مستويات السّرد التي يستند عليها الكاتب المسرحي أو الروائي، يؤكد مصطفى السيوفي على ارتباط المكان بالشخصية داخل الرواية في قولها: "ولها في الرواية منزلة عظمى في الحياة الاجتماعية والفكرية والجمالية معًا، ذلك لأن الشخصية الرواية بحكم قدرتها على حمل الآخرين على تعرية طرف من أنفسهم كان مجهولا إلى ذلك الحين، فإنها تكشف لكل واحد من الناس كينونته"[2]

أي أن الشخصية تبقى عنصرًا أساسيا في الرواية وتتحرّك تبعا لتأثيرات مختلفى، بخيث يظهر أثر المكان على الشخصية وتصرفاتها.

إن للمكان علاقة وثيقة بالشخصيات فهي من أبرز العلاقات في تكوين العمل السردي "إن المكان لا يظهر إلاّ من خلال وجهة نظر شخصين تعيش فيه وتخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه وعلى مستوى الفرد فإنّ المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي، ويرسهم طبوغرافية، ويجعله يحقق دلالته المناسبة وتماسكه البيولوجي"[3]

1- شكري عزيز ماضي، فنون النثر العربي الحديث، منشوارت جامعة القدس، ط 1، 1996، ص 86.
2- مصطفى السيوفي: تصوير الشخصيات في قصص محمد فريد أبو جريد، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط 1، 2010 – 2011، ص 60.
3- شكري عزيز ماضي، فنون النثر العربي الحديث، ص 86.

وهذا ما يأكد ارتباط المكان الروائي بالشخصية فهو يوضح طبيعة العلاقة بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه، والحديث عن موضوع المكان الروائي إلاّ واقترن بالحديث عن الشخصية باعتبارها قوة مؤثرة في المسار السردي للرواية.

إنّ للمكان علاقة متينة بالشخصيات كون هذه الأخيرة تلعب دور مهم في تشكيل العمل السردي، أي علاقة متبادلة بينهم وفي هذا يقول عمل عاشور: "جغرافية المكان من ملامح وأبعاد هندسية لا تتحدد إلاّ من خلال حركة الشخصيات فيه"[1]

نفهم من هذا أنّه لا يمكن تشكيل المكان دون تواجد الشخصيات في الرواية ومن هنا المكان لا يتشكل إلاّ بتحديد معالم الشخصية نظرًا لأهميتها في تشكيله.

نجد أن الروائي مصطفى ولد يوسف في روايته قد اختار عدّة أمكنة لتدور فيها الشخصيات مثل: المستشفى، المقهى ... وغيرها من الأمكنة، فكل مكان منها يعبر عن نفسية الشخصية وطريقة تفكيرها.

إنّ رواية "رحلة الواهم في المجهول" صورت لنا الحالة النفسية التي صاحبت "صوفيان" من وحدة وكآبة يقول الكاتب: "أشغل الولاعة ثم الشمعة فأضاءت الغرفة وابتسامة موناليزة ما لبثت تحولت إلى كآبة تلقي بظلالها على اللوحة ..... لا زوجة يحتضنها، ولا أبناء يلهو بهم ويتلهى... وحيدا في وحدة قاتلة، ومن شدة هذا الفراغ الوجداني طلّق الكأس فارتطم بالأرض القاسية"[2]

ومن هنا المكان (الفرقة) تجسد للدلالة على الحزن، الظلام، اليأس، الوحدة ...

1- عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح "البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة، الجزائر، 2016، ص 83.

2- رحلة الواهم في المجهول لمصطفى ولد يوسف، ص 05.

كما لجأ الكاتب إلى توظيف الجامعة كمؤسسة أكاديمية انتقل إليها "صوفيان" بعد نجاحه مما تشكلت علاقة تأثيرية وتفاعلية من خلال علاقته مع الآخرين ويتجسد ذلك قوله: "كان أول لقاء بالمدرج "ك" حيث جلس "صوفيان" الباتني في صف الأول وهو في قمة السعادة إذ حقق حلمه فهو الوحيد من قرية "الشوكة" الذي التحق بكلية الطب"[1]

فقد اعتبر "صوفيان" الجامعة المكان الوحيد الذي يخلصه من شبح الفقر من خلال الإنجاز الذي حققه به حلمه وبالتالي أصبح هذا المكان مصدرا لسعادته.

وقد جاء في قول آخر: "..... وكان "صوفيان" صاحب الحب الخمسين عامًا متعبا فهو رئيس مصلحة التوليد في مستشفى ابن سينا لطوال اليوم وهو يتفقد مصلحته المكتظة بالحوامل، ويحرص على احترام أبجدية النظافة والاستقبال الإنساني لهاته النسوة فهن بحاجة إلى عناية"[2]

ومن هنا حمل المكان أبعادًا ودلالات ذات طابع إنساني تكسب العمل الروائي فنية وجمالية راقية، كما حرص الروائي على اختيار المستشفى لمكان ملائم للشخصية الرئيسية حتى يتمكن من إبراز شخصها وملامحها فوظف المستشفى لمكان يندمج فهي مع العالم الخارجي.

كما وظف ولد يوسف عدّة مدن في الرواية منها مدينة باريس حيث يقول: "امتطى "صوفيان" الطائرة وكله أمل في أن يرى باريس أول مرة ... وصل إلى مطار شارل ديغول على الساعة السادسة مساءً وكان الجو ملبدًا والمطر يرجف بقوة"[3]

حيث كانت مدينة باريس في رواية "رحلة الواهم في المجهول" المدينة التي اشتهى "صوفيان" إلى زيارتها.

1- المصدر نفسه، ص 11.

2- المصدر نفسه، ص 11.

3- المصدر نفسه، ص 11.

لجأ الروائي إلى توظيف مكان آخر وهو العمارة التي يقطن بها الطبيب "صوفيان" يقول ولد يوسف: "انزلقت قدم "صوفيان" فوق درج العمارة فكاد يسقط بسبب سلالم العمارة التي تآكلت بفعل الإهمال في الحي الذي يسكن فيه في رحلة البحث عن الأيدي التي تنتشله من الأوساخ المرمية هنا وهناك وانعدام الإنارة في العمارات وخارجها ... حي كئيب يثير الإشفاق"[1]

وصف لنا الروائي حالة المكان الذي يمكث فيه "صوفيان" من خلال انعدام الثقافة وتراكم الأوساخ فيه، ففي كل مرة يحاول إيقاض ساكنيه بتخصيص يوم تطوعي لتنظيفه.

لقد حرص الروائي على اختيار المكان المناسب للشخصيات الرئيسية حتى يتمكن من إبراز سلوكياتها أي جسدت علاقة تأثير وتأثر بين الشخصية والمكان فكلاهما يكملان بعضهما وبهذا تساعد في بناء عمل روائي ناجح: "فلقد دخلت العلاقة بين الشخصية والمكان مرحلة جديدة أصبح المكان شرطًا للوجود ذاته عاملاً من العوامل بين الشخصية وتحديد استجابتها. [2]

وهذا ما قدمه لنا ولد يوسف في روايته من خلال توظيفه لإبداعية المكان وعلاقتها بالشخصية والتي لمسناها أثناء قراءتنا لهذه الرواية.

3: علاقة المكان بالحوار:

يحدد الحوار من عناصر السرد وهو الصورة التي ترسم في الكلام، وهو من وسائل السرد المهمة التي تكشف عن طبيعة الأشياء المهمة حوله وبه يكشف الروائي عن الزمان والمكان في المقطع الحواري، فلا يمكن الاستغناء عنه في المسرح ولا في السرد الروائي "إنّ الحوار أحد الآليات التي تعتمد الرواية في بناء تشكيلها السردي بجانب السرد والوصف، وهو الأكثر أهمية

[1]- الرواية ص 38.

[2]- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة، 1984، ص 100.

في البناء العام للرواية على مستويات كثيرة"[1] أي هو أحد العناصر السردية بالغة الأهمية في تشكيل العمل السردي وهو الذي يكشف عن مونولوجيا الذاتي الداخلي بين الشخصيات المتحاورة باعتباره عنصر مهم من عناصر بناء المسرحية والرواية وغيرها من الأعمال الأدبية إذ الحوار "هو تبديل للتبادل الشفهي وهذا التمثيل يفترض عرض كلام شخصيات بحرفية سواء موضوع بين قوسين أو غير موضوع وتبادل الكلام بين الشخصيات أشكال عديدة كالاتصال والمحادثة والمناضرة والحوار المسرحي"[2]

ونفهم من هذا أن كل ما يدور من حديث بين الشخصيات حول موضوع ما سواء في القصة أو المسرحية أو الرواية، يوضح طبيعة الشخصية ونمط تفكيرها وحياتها الواقعية.

إذن العلاقة بين الحوار والمكان علاقة واضحة وتأخذ أنماطًا عدّة وما يميزها هو ذكر المكان الذي يجري حوله الحوار، وتجسد كذلك في رواية "رحلة الواهم في المجهول" من خلال حوار الشخصيات كالآتي:

– اختر بين عائلتك وأنا.

– لا أستطيع.

– كن رجلاً وأرم ذلك الحلم الذي جمعنا منذ الجامعة، حلم الاستقرار بفرنسا فأخوتي هناك وهم في أحسن الأحوال، فأين الوعد؟

– وعد أطلقته يوم كنت مرهقا واليوم لست كذلك.

– ابق إذا في أحضان أمك أنا فما زلت مراهقة وسأبقى كذلك، فسلام.

---

[1]– عبيد محمد صابر، مغامرات الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي، ط 1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص 251.

[2]– زيتوني لطيف، مصطلحات نقد الرواية، عربي – إنجليزي – فرنسي، مكتبة لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص 79.

– وكل تلك السنين التي كانت عسلاً؟

– طويتها إلى الأبد؟

– وحبنا؟

– أعدمته بعدم وفائك للوعد، ففي أول لقاء اتفقنا أن نترك هذه البلاد الموبوءة بالظلام.

– أيُّ ظلام؟

– ظلام القلوب، والإنفاق والرياء، والأفكار و.....و....." [1]

تجلت العلاقة هنا في مكان (الجامعة) بين الطالبين "صوفيان" و"أسماء" وهي علاقة يسودها نوع من التوتر والاضطراب، فقد ترك الراوي للشخصيات فرصة التعبير والحديث بمفردهما دون تدخله، وقد تم تحديد مكان الحوار من خلال: "..... ذلك الحلم الذي جمعنا منذ الجامعة، حلم الاستقرار بفرنسا فإخوتي هناك. وهم في أحسن الأحوال، فأين الوعد؟"[2]

إذ من خلال هذا الحوال قام ولد يوسف بخلق المكان بروايته "رحلة الواهم في المجهول" الذي وجده ملائما ومنسجما معه" إذ بواسطة هذه الجمل الروائية التي تنشأها الشخصيات تتجلى عناصر السرد والدراما على نحو واضح"[3] أي تكمن أهمية الحوار من خلال انفتاحه على المستويات الأخرى في سير السرد والأحداث.

كما تطرق الراوي إلى مكان آخر الذي جاء في الحوار الآتي:

"–سروالك.

– ما به متغربا؟..

---

[1]– الرواية ص 4 – 5.

[2]– الرواية ص 4.

[3]– نهنا، عصام: اللغة في المسرح النثري، مجلة الفصول، مجلد عدد 5، 1984، ص 152.

– فأسرع خارجا معتقدا أنه تمزق ... وصل إلى قاعة الأساتذة فأخرج مئزره ... لبسه بسرعة البرق، ثم عاد إلى الصف الذي هاج.

– اصمتوا وإلاّ قذفت بكم إلى البحر ... اخرسوا ...

.... استدار فوقعت عينيه الصغيرتين على بقع الزفت، فثار كالثور الهائج"[1]

"من فعل ذلك؟

كان الصّمت سيد القسم .... فاتجه نحو "وعلي" صائحا:

– أنت .... يا ابن البورجوازي

فصفعه صفعة أسقطته أرضا، فخرج التلاميذ مذعورين وصائحين:

– لقد جنّ "شارلو".... لقد جنّ ... هكذا يلقبونه ....

استدعاه الدير، فكانت معه جلسة طويلة

– يا أستاذ، الضرب ممنوع شرعا وقانونا

– لهذا لم يعد التعليم كما كان؟"[2]

لقد تجلى المكان هنا في المدرسة بين الشخصيات التلميذة "أسماء" والأستاذ "سي فوضيل" والمدير، وهذا ما كشف لنا دلالة اجتماعية بين الشخصيات التي تمثلت في الظلم والتميز بين التلاميذ بسبب طبقاتهم الاجتماعية وتجسد هذا الحوار في القسم بحيث يقول ولد يوسف:

"..... إنك تنتمي إلى مدرسة انقرضت ولم يعد لها وجود .... والأجدر بك أن تتقاعد..." [3]

---

[1]– الرواية ص 8.

[2]– الرواية ص 8.

[3]– الصفحة نفسها.

كما كان يدور الحوار الخارجي بين الشخصيتين "صفيان والفقيه الطيب المدعو "ذو السمة" في الحوار التالي:

"-كيف أحوال العاصمة؟

- بخير.

- إخوتنا هناك نشيطون جدا.

- وأنت ما هو لون حزبك؟

- لون حزبي؟

- أأنت منهم أو منّا

- أنا حرّ، ليست لي ميولات سياسية

- مستحيل، ومشروعك؟

- أي مشروع تقصد؟

- أتساند مشروعنا السياسي؟

- مشروعي الوحيد هو معالجة النّاس فقط.

- تحب أيضا مشروعنا المتمثل في معالجة أنفس الناس من الكفر والإلحاد والسفور، وتطهير الوطن من جميع السفهاء، أليس كذلك؟

فصاح الجميع: الإسلام هو الحل، الإسلام هو الحل.

- الناس مسلمون والحمد لله"[1]

تمحور المكان هنا في (المسجد) وقد تم تحديد هذا المكان من خلال القول الآتي: "وذات مرة قصد "صوفيان" المسجد للصلاة فوجد أتباعه يحيطون به"[1]

[1]- الرواية ص 15.

لقد بني هذا الحوار من خلال عدة أبعاد منها البعد الديني الذي تجسد في نشر الإسلام ومعالجة أنفس الناس من الكفر والإلحاد، إضافة إلى البعد السياسي الذي تمثل في تطهير الوطن من السفهاء إلى جانب البعد الاجتماعي من خلال نشر الفتنة بين الشعب.

ومن هنا الحوار قوة فاعلة في النص جسّدت رؤية الكاتب في نصه الروائي "إذ يقوم الروائي بخلق المكان لروايته الذي يجده ملائما ومنسجما معها وليقدم لنا حالة تصبح أو الكمال تدلنا دلالة عامة على فكر صاحبها"[2]

أي أن الروائي هو الذي يشغل لنا المكان في الرواية من خلال الحوار الذي يبيّن لنا نمط تفكير الشخصيات.

أضاف ولد يوسف مكانا آخر ألا وهو "مركز الشرطة" والذي تمثل الحديث بين الشرطي والدكتور "صوفيان" وظهر هذا في الحوار الآتي:

"–تصفّح الشرطي جواز سفره بتمعن ثم دعاه إلى مركز الشرطة المجاور للمطار ... فكانت خطواته بطيئة، في حين ينهره الشرطي:

– هيا، هيا، أسرع، أسرع

... وصلا، ثم قدمه للمحافظ الواقف أمام باب مكتبه:

– إنّه هو، هو

– من؟"[3]

– المجرم المبحوث عنه.

---

[1]– الرواية ص 14.

[2]– ينظر: عبد السلام فاتح ترييف السرد في خطاب الشخصية الريفية في الأدب، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001، ص 164 – 165.

[3]– الرواية ص 74.

– أه، صعه الكماشة وأدخله إلى مكتبي

– حاضر

نفذ ما أمر به، ثم أجلس "صوفيان" الذي لم يفهم شيئا، حيث ألم به شرود وضياع لخطتها ...

جلس المحافظ الذي في قمة الهدوء:

– إذا أنت، أخيرا قبضنا عليك

– أنا الدكتور، ولست ما تظن ... انظر إلى بطاقتي، جوازي

– إنها مزورة

– مزورة والآن اعترف

– بماذا أعترف؟

– بالعملية.

– العملية؟

– العملية التي قمت بها قبل سفرك إلى فرنسا أحد مكروه لسيدة م.ف؟"[1]

يكشف لنا الحوار الآتي بين الشرطي والطبيب "صوفيان" عن دلالات سياسية وهي علاقة يشوبها الظرم والاتهام والتزوير التي تمثل في اتهامه بقضية القتل من خلال العملية الجراحية التي قام بها آنذاك للسيدة م.ف.

[1]– الرواية ص 74.

04: أبعاد المكان:

انطوت رحلة الواهم في المجهول "على أبعاد مكانية نذكر منها:

4-1 البعد النفسي:

إن للمكان أبعاد نفسية تؤثر في نفس البشرية بطريقة كانت سلبية أم إيجابية، وقد وجدنا الأماكن في رواية "الواهم في المجهول" لمصطفى ولد يوسف كانت ذات أبعاد نفسية واضحة لأن بطل الرواية يسرد لنا أحداثا عاشها في أماكن مختلفة من الماضي عن طريق استرجاع الحوادث المؤلمة التي كانت سببا في تعاسته. فهو يعبر عن ما يدور في نفسية الإنسان من أحاسيس ومشاعر ثم ما يدور في محيطه" فالعلاقة مبنية على مبدأ التجاذب والتقاطب والتأثير والتأثر والتفاعل بين الشاعر والمكان"[1]

إذ يعلب المكان دور كبير في التأثير على نفسية الإنسان وعمّا يدور في خلده من مشاعر وأحاسيس كما أنّ هذا الأخير (الإنسان) يتأثر بشكل كبير بالمحيط الذي يكون فيه أي علاقة تأثير وتأثر بينهما.

لقد وظّف ولد يوسف المكان في هذه الرواية وأضفى عليه دلالات نفسية مختلفة يوقل: "أخذ سيجارة ثم وضعها في فمه ... وهو يجرّ الحسرة تلوى الحسرة فتذكر ذلك العام الدراسي في بداية السبعينات وهو شاب متحمس يحمل مشروعًا تربويا"[2]

فهنا الأستاذ فضيل يسترجع ذكرياته التي عاشها في أيام دراسته حيث كان شاب طموحًا ومتحمسا للتدريس.

---

[1]- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005 – 2006، ص 112.

[2]- الرواية ص 9.

وقال كذلك في الرواية ".... راني بخير، سامتحك على السنين التي لم تبعث برسالة واحدة لأمك كما يفعل الآخرون ... أرجوك طمئن قلبي يأتيك بخير قبل أن أموت"[1]

إن المكان هنا (الدكان) يحمل بعدًا نفسيا عميقا دالا على القلق والتور وحالة من الفراغ النفسي والعاطفي الذي تجسّد على الحاجة (زاهية) المرأة العجوز التي اغترب ابنها بفرنسا ولم يعد.

كما وظّف الكاتب مكانا آخر كان ترجمة لمشاعر بطل الرواية "صوفيان" يقول: "... تمعن في الكأس الذي في يده ... فهو كان ممتلئ عصيرا فغدا فارغا وهو كذلك لا زوجة يحتضنها ولا أبناء يلهو بهم ويتلهى ... وحيدا في وحدة قاتلة، ومن شدة هذا الفراغ الوجداني طلّق الكأس فارتطم بالأرض القاسية مستسلما للنوم فالتعب نال منه كثيرًا"[2]

لقد أثر المكان على بطل الرواية سلبيا، حيث ظهر جليا على نفسيته التي تمثلت في الوحدة القاتلة التي يعيشها.

إنّ المكان يؤثر بشكل كبير على الكاتب أو الشاعر الذي يملك نفسًا حساسًا ومرهفا لذلك: "ليس الهدف تصوير المكان كمكان بقدر ما يرغب في الكشف عن العلاقة النفسية بين الإنسان والمكان"[3]

والمقود بذلك أن المكان يشحن الإنسان بالطاقة النفسية في أي حالة من الحالات سواء فرح، حزن، ألم، تعاسة ... فمن خلاله يفهم القارئ نفسية الشخصيات ونمط سلوكها.

---

[1]- الرواية ص 12.

[2]- الرواية ص 5.

[3]- حنان محمد موسى حمودة، الزمكانيين وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2006، ص 85.

2-4 البعد الاجتماعي:

يحتون المكان على مجموعة من الأماكن التي تشكل لنا العمل السردي فهي بمثابة مكان تسير فيه الأحداث وتكملها، إذ تقول صبحية عودة أنها: "ليست حقيقية بمثابة مكان تجدي فيه الأحداث ومكمّل لها وقد يكون هذا المكان وصف لحالة تمرّ بها إحدى الشخصيات لذلك لا يعبر هذا المستوى من المكان عن المكان الحقيقي الذي يعيش فيه ويظل خارج تجربتنا"[1]

أي أن المكان هو بمثابة انعكاس لحالة شخصية من الشخصيات نجد هذا النوع من الأمكنة في رواية "رحلة الواهم في المجهول" في أماكن عدة نذكر بعضها:

- المستشفى:

في إحدى المؤسسات الاستشفائية كان يعمل بطل الرواية المسمى "صوفيان" طبيب بعدما نجح من الجامعة والتحق بمصلة التوليد حيث يقول: "كان صوفيان صاحب الخمسين عاما متعبا، فهو رئيس مصلحة التوليد في مستشفى "ابن سينا" لطوال اليوم وهو يتفقد مصلحته المكتظة بالحوامل ويحرص على احترام أبجدية النظافة والاستقبال الإنساني لهاته النسوة ... وهو كطبيب مختص في أمراض النساء يعرف كل صغيرة وكبيرة عن معاناتهن"[2]

لقد كان الطبيب "صوفيان" متفان في خدمته وخدمة مرضاه فهو مؤمن برسالته المقدمة وهي الحفاظ على الناس.

جار هذا المكان في النص الروائي ساردًا لأحداث داخل المستشفى فهو يمثل في حيائه وعمله فيها.

---

[1]- صبيحة عودة زعرب، غسان الكنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمّان، الأردن، ط 1، 2006، ص 96.

[2]- الرواية ص 03.

- السينما:

يعد هذا المكان من الأماكن المكملة لأحداث الرواية والتي تم تواجدها بقلة في الرواية بحيث ذكرت مرة واحدة فيها يقول ولد يوسف: ".... آنذاك كان يعشق الممثلة الإيطالية "صوفيا لوران" النجمة السنيمائية العالمية... في ذلك الوقت كان مجرد بناء في شركة عمومية محلية وأجرته الزهيدة ينفقها في تعاطي الخمر والتردد على قاعة السينما كلما عرضت فيلما من أفلامها "صوفيا لوران"[1]

جاء هذا الكلام ليبين لنا السنين الذي ضيعها "الحاج منصور" في انتظار العلامة الإيطالية "صوفيا لوران"

- مركز الشرطة:

يذكر السّارد هذا المكان على أنه من الأماكن المتممة لأحداث الرواية وجاء هذا المكان لتبيان الغاية الذي اعتقل بسببها "صوفيان" يقول:

"خرج من مركز الشرطة منهمكا بدنيا وهو يتنظر سيارة أجرة"[2]

إذن الغرض من هذا المكان هو الإشارة لتوضيح حدث ما.

4-3 البعد الهندسي:

إنّ الغرض من هذه الأمكنة هو تبيان الشكل الهندسي للمكان الروائي من خلال وصف أبعادها الهندسية باعتباره "المكان الذي تعرض فيه الرواية من خلاله وصف أبعاده الخارجية

---

[1]- الرواية ص: 51.

[2]- الرواية: ص 76.

بدقة بصرية وحياد أي حين يتفكك المكان ليتحول إلى مجموعة من السطوح والألوان والتفاصيل التي تلتقطها العين المنفصلة"[1]

ففي هذا البعد يركز الكاتب على الصفات الهندسية التي يحملها هذا المكان من خلال الرؤية البصرية التي تلتقطها العين.

- المدينة:

تعد المدنية من الأماكن التي قدمها لنا ولد يوسف في طابع هندسي يقول: "الظلام لون المدينة بعدما اجتاح الرعب أزقتها وشوارعها .... ضوء لتشرب بين جنبات الظلام الدامس، فانتعش الأمل في حضرة الشؤم"[2]

إنّ الوصف هنا كان وصفا خارجيا على لسان الكاتب الذي تمثل في وصف المدينة وصورتها في الظلام.

هذه من أهم الأمكنة التي ألمّت بها هذه الرواية والتي وظفها الكاتب وإبراز أبعادها المختلفة والغرض من توظيفها إظهار مهارة الكاتب في إيصال الفكرة والتأثير في الملتقي.

[1]- صبيحة عودة زعرب: غسان الكنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 96.

[2]- الرواية ص 39.

خاتمة

خاتمة:

أخيرًا ها نحن نطوي صفحة نهاية دراستنا لهذا البحث المتواضع لنلخص لأهم النتائج التي توصلنا إليها نذكر فيما يلي:

– لم يستعمل مصطفى ولد يوسف المكان في رواية كريكور تزييني وإنما اعتمد عليه لتبيين معالم روايته من خلال إيضاح المكان المغلق والمكان المفتوح.

– تعد رواية "رحلة الواهم في المجهول" فضاءً رحبا بأمكنتها التي تعطي النص الروائي جمالا وإشراقا.

– يعد المكان العمود الفقري للنّصوص الروائية فهو عالم ينشأ من تصادف مخيلة المتلقي بالعمل الروائي.

– تعتبر رواية "رحلة الواهم في المجهول" مرآة الحياة الاجتماعية والسياسية.

– إنّ الرواية عند ولد يوسف ليست إلا صورة للعالم الذي نعيش فيه وأنموذجًا له، يتجسد ذلك من خلال الأزقة والحوار ما تمثله من تفاعلات بشرية كأحسن ما يكون التّفاعل.

– نلاحظ تعدد الأمكنة في الرواية وذلك بهدف إثقالها، وإنّما بهدف خدمة النّص فهو عهد في بناء روايته على التنويع المكاني وترك الشخصية حريتها في إظهار مشاعر مختلفة اتجاهه.

– نوعت الرّواية بين الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة، حيث تختلف دلالة هذا الأخير فهو أحيانا مكانًا للاحتماء والاستقرار وأخرى مكانا للتذمر وأخرى للتفكير، والانفراد بالنفس.

– نجد أن المكان في الرواية له خصائص واضحة، فقد كانت أحداث الرواية تجري بقوة أمكنة، تشكل الإيطار للرواية الذي يتضمن فضاءات أخرى.

– يمتاز المكان بقيمة فنيّة كبرى في الأعمال الروائية نظرا لاستناده إلى الواقع والخيال، مظاهره المكان متميّزة بتصورها وعلاقتها وهذا ما حاولنا إبرازه من خلال تناولنا لموضوع

المكان الذي يعتبر وسيلة المبدع في خلق هيكل النّص وتهيئ المناخ العام الذي ينمو فيه، غاية منه تأسيس تصوّر جمالي متكامل للمكان داخل الرواية.

– لذا فالمكان هو جوهر النّص فكلما أحسن الكاتب توظيفه في الرّواية، كلما ترسخت قيمته وحددت مواقفه، فخاصية المكان تتعلق بمقدار تجربة المبدع المختلفة، فلمسته المتقنة تحقق للمكان انسجامًا.

كانت هذه النتائج التي خلص إليها البحث نرجوا أنّنا كنا قد وقفنا على أهم الخصائص الفنية لبنية الرواية والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1- المصادر:

01- رحلة الواهم في المجهول: مصطفى ولد يوسف، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2015.

2- المراجع:

أ- كتب عربية:

01- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديثة، ط1، إربد، الأردن، 2010.

02- بدرى عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، ط 2، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986.

03- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط 2، 1990.

04- حسان مجيد لعبيدي: نظرية المكان في فسلفة ابن سينا، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.

05- حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، مركز أوغاريت الثقافي، فلسطين، ط 1، 2006.

06- حنان محمد موسى، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2006.

07- حمادة تركي زعتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2003.

08- زكي العلية: المرأة في الرواية الفلسطينية، رام الله، دار أوغاريت للنشر والتوزيع، فلسطين، 2003.

09- زيتوني لطيف: مصطلحات نقد الرواية، عربي-إنجليزي-فرنسي، مكتبة لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.

10- سمر روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا، مقاربات نقدية، إتحاد كتاب الغرب، ط1، دمشق، سوريا، 2003.

11- سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهئية المصرية العامة، 1984.

12- شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.

13- شكري عزيز ماضي: فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس، ط 2، 1996.

14- صبيحة عودة زعرب: غسان الكنافي، جماليات السرد في الخطاب الرواي، دار مجدلاوي، عمّان، الأردن، ط 1، 2006.

15- عبد الرحمن البدوي، موسوعة الفلسفة ج 1، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.

16- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، القاهرة، ط 3، 1992.

17- عبيد محمد صابر، مغامرات الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي، ط 1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012.

18- عمر عاشرو: البنية السردية عند الطيب صالح، البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة، الجزائر، 2016.

19- محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي عن ضوء المناهج النقدية الحديثة من منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003.

20- محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005.

21- محمد مرتضي بن محمد الحسين الزبيدي: تاج العروس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (مج 18) ط 1، 2008.

22- مصطفى السيوفي: تصوير الشخصيات في قصص محمد فريد أبو جديد، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط 1، 2010 – 2011.

23- مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنامنيا، منشورات الهيئة العامة السردية للكتاب، دمشق، ط 1، 2011.

24- ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد ننوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، مجلد 1، 2010.

25- ينظر: عبد السلام فاتح: ترييف السرد في خطاب الشخصية الريفية في الأدب، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.

ب- كتب مترجمة:

01- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 2011.

3- رسائل جامعية:

01- جوادي هنية: صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، العلوم في الآداب واللغة العربية، صالح مفقودة، 2013.

02- محمد الصالح قرفي: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005 – 2006.

4- معاجم:

01- أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1979.

02- خليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين (مج 14) ط 1، دار النشر للكتب العلمية، لبنان، 2013.

03- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، لبنان، 1985.

5- المجلات:

01- آسيا البوعلي: أهمية المكان في النص الروائي، مجلة نزوى تصدر عن مؤسسة الصحافة والنشر والإعلام، 2009.

02- نهنا عصام: اللغة في المسرح النثري، مجلة الفصول مجلد 5، 1984.

6- مواقع إلكترونية:

01- GENEGE Polet : l'espace paraustien ed : Gallinard, Paris 1963, p58.

الفهرس

الفهرس

- مقدمة ..... أ

الفصل الأول:المفهوم والمصطلح .....

أولا: مفهوم البنية: 5

أ- لغة 5

ب- اصطلاحًا 5

ثانيا: مفهوم المكان 6

أ- لغة 6

ب- اصطلاحا 8

ثالثا: أهمية المكان في الرواية 10

رابعا: الفرق بين المكان والفضاء 14

الفصل الثاني: "علاقة المكان بمكونات السرد" .....

أولا: أنواع المكان. .....

19

ب- أماكن مغلقة 19

أ- أماكن مفتوحة 25

ثانيا: علاقة المكان بالشخصيات 28

ثالثا: علاقة المكان بالحوار 31

رابعا: أبعاد المكان 38

أ- البعد النفسي 38

ب- الاجتماعي 40

ج- الهندسي 41

خاتمة 44

قائمة المصادر والمراجع. 47

الفهرس 52